خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٩- ٥ -٢٠٠٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

لقد وفقني الله تعالى في الأيام الماضية لزيارة ثلاثة بلـــدان أفريقيـــة كمـــا تعلمون. وشاهدتْ كل عين تابعتْ القناة الفضائية MTA برامجَ هـــذه الزيارة بل بالأحرى البرامج الرئيسة البارزة مثـــل الجلـــسات الـــسنوية،

وتمتعتْ بها وعاينت نزول غيث أفضال الله تعالى بغزارة على جماعة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حسب وعود الله تعالى معه. رغم أن كثيرا من هذه الأمور تناولتها التقارير التي قد نُشرت بعضها وستُنشر الأخرى عن قريب بإذن الله، لكن الكثيرين من الأحمديين لا يسعهم الاطلاع على هذه التقارير كونهم لا يقرأون جريدة "الفضل" وبالتالي لا لا تصل هذه المعلومات إلى الجميع. على كل حال، يطمح كثير من الناس أن أتناول في الخطبة تفاصيل هذه الزيارة – وقد بدأت تردني الرسائل بهذا الخصوص – لهذا أذكر لكم بعض أحوال هذا السفر بإيجاز، وسأتناول بعض الأمور التي لم تقدر عين الكاميرات على نقلها والتي تتعلق بالعواطف والمشاعر، وإن كان التعبير الكامل عن مثل هذه العواطف شبه مستحيل، لكنني سأحاول نقلها لكم إلى حد ما.

فبفضل الله تعالى كانت زيارتي هذه الأولى من نوعها في هذا العام أي عام اليوبيل المئوي للخلافة. ورأيت في هذه البلاد التي زرتها أن الأحمديين رجالا ونساء وأولادا كانوا قد بدأوا ترتيبات هذه الاجتماعات بحماس كبير وبعواطف مخلصة، لدرجة تبعث فيها نماذج بعضهم على الحيرة والذهول فيما يتعلق بهذه الاستعدادات، حيث إنهم يقدمون تضحيات جسيمة، ويتسابقون في الحب والإخلاص والخيرات ويؤثرون الدين على الدنيا. وهب الله تعالى للمسيح الموعود عليه السلام أناسًا تختلف انتماءاتهم

وجنسياتهم وألوانهم، وتتنوع عاداتهم وتقاليدهم، ولكنهم جميعا، من أجل الفوز بمرضاة الله تعالى، يحبون خليفة المسيح المحمدي حبا بحيث يفقد الإنسان سيطرته على عواطفه. وكان ذلك مقدرا من الله لأنه قد وعد بذلك سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام. وإن الله الذي هو ربنا، ورب المسيح الموعود عليه السلام، ورب محمد رسول الله ﷺ، هو إله صادق الوعد، والذي هو مصدر كل قوة وقدرة، كان قد وعد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أنه سينشر ذكره بعزة في كافة أرجاء المعمورة، ويرفع شأنه ويلقي حبه في القلوب، وها نحن نلاحظ كل يوم مظاهر تحقق هذا الوعد بصورة متجددة، ويشهد العالم على أننا رأينا – في زيارتي هذه لأفريقيا – تحقق وعد الله هذا بصفة متميزة. وهو أمر لا خفاء فيه ولا مبالغة. لقد نقلت الكاميرات للعالم بوضوح تام مشهد الأفارقة الحاملين في قلوبهم حبَّ المسيح الموعود عليه السلام بكل احترام، حين كانوا يرفعون هتاف "عاش غلام أحمد" بلهجتهم الخاصة، فكان يتراءى لنا مشهد تحقق هذا الوعد بصورة عجيبة. فإن وعْد الله تعالى: "أرفع ذكرك" يخلق في الجو ارتعاشا عجيبا في صورة الهتافات، فكان حبُّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وحب سيدِه ومطاعه محمدٍ رسولِ الله ﷺ يتدفق من قلوب هؤلاء الأفارقة العامرةِ بنور الإيمان، فهل يمكن لأي إنسان أن يولِّد هذا الحب في القلوب بجهوده؟ وهل يمكن أن تكون نضارة الوجوه وبريق الحب في العيون نتيجةً للمطامع

الدنيوية؟ يقول البعض: يمكن بواسطة الإغراء بالمطامع الدنيوية استحصال أي تصرف من الفقراء. لكن متى كان الطمع يخلق الحب في القلوب؟ فإن هؤلاء الفقراء لا يملكون في الظاهر ثروة دنيوية لكنهم أغنياء بثروة الإيمان، فلا يمكن لأحد أن ينـــزع من قلوبهم حبَّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مهما قدم لهم من الأطماع الدنيوية، بل إن الحب الذي يكنونه لخليفة المسيح – بسبب حبّهم للمسيح الموعود وسيده محمد المصطفى ﷺ – لا يساويه أي حب في الدنيا مهما كان عظيما. فهذا هو إلهنا الذي ملأ الأحمديين من قمة الرأس إلى أخمص القدمين بحب الخلفاء بفضل حبهم للمسيح الموعود عليه السلام. وإنني أرى الأحمديين الأفارقة يتحولون إلى أجلى مثال لهذا الحب. نسأل الله تعالى أن يولد هذا الحبُّ مزيدا من الحب باستمرار.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"إن مؤيدي الأنبياء هم الضعفاء عادة، وإن كبار الناس يُحرمون من هذه البركة في أغلب الأحيان، إذ تخطر ببالهم أفكار متنوعة، ويعتبرون أنفسهم فوق هذه الأمور، فيرون الجلوس في المجلس الذي يجلس فيه الفقراء المخلصون والضعفاء وأحباء الله، مدعاةً لإهانتهم وسببا للعار والشَّنَار وذلك بسبب أنانيتهم وكبرهم الخفي ومشيختهم. إنني أرى أنه قد انضم إلى جماعتي مئات من الناس الذين بالكاد يجدون ما يسترون به أجسادهم

من اللباس. ولا يتيسر لهم حتى الرداء أو السروال إلا بصعوبة بالغة. لا ضيعة لهم ولا عقار ولكن إخلاصهم المفرط وحبهم ووفاءهم – الذي يظهر منهم بين حين وآخر، أو الذي تترشح آثاره من ملامح وجوههم – يخلق نوعا من الحيرة والاستغراب في القلب. إنهم راسخون في الإيمان وصادقون في اليقين وأوفياء ومخلصون في صدقهم وثباتهم بحيث لو اطلع عَبَدَةُ ثرواتِ الدنيا والمنهمكون على ملذاتها على تلك اللذة التي يشعر بها هؤلاء لاستعدوا لتقديم كل ما عندهم لكي يحصلوا عليها."

فلقد حقق الله مع المسيح الموعود عليه السلام وعوده ووهب له هؤلاء المحبين الذين وصفهم حضرته في هذا المقتبس. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام لجماعة الأحباء بخصوص وعد الخلافة بأن هذا الوعد يخصُّكم. أما الذين أتوا بعدهم فقد ولّد الله في قلوبهم حبَّ الخلفاء أيضا إلى جانب حب المسيح الموعود عليه السلام. وقد شاهدتم حب أصحاب القلوب النيرة من الأفارقة. الآن أقدم لكم بإيجاز بعض أحداث هذه الجولة.

كانت المحطة الأولى في هذه الجولة "غانا" وقد شاهدتم مشاهد الاستقبال على المطار. من الممكن أن تكون الكاميرا قد نجحت في نقل حماس وعواطف الأحمديين الموجودين هناك رغم حلول الظلام، ولكن لم يلاحظ الحب المتدفق من العيون إلا من كان موجودا بينهم. مدينة "أكرا" عاصمة البلاد، حيث يوجد مركزنا أيضا الذي زرته في الجولة السابقة كذلك،

كان مقر إقامتي، ولكن موقع الاجتماع كان على مسافة ثلاثين أو أربعين ميلا لذا انتقلنا في اليوم التالي إلى مكان الاجتماع "باغِ أحمد" (أي بستان أحمد)، وكما أخبرتكم سابقا أن الله تعالى بفضله أعطانا مكانا مناسبا جدا بحجم أربعمائة وستين فدّانا بقرب من الشارع الرئيس. حين وصلتُ إلى هناك كان أغلب الأحمديين رجالا ونساء قد سبقوني، وتحول المكان إلى مدينة عامرة. إن الجماعة في غانا قد طوّرت هذه الأراضي كثيرا حيث مهدت الطرق والشوارع بتخطيط دقيق، والآن قد أصبح الوصول إلى كل مكان فيها سهلا جدا. كانوا قد نظفوا المكان وقطعوا الشجيرات الطفيلية والأعشاب. إن أرض هذه البلاد الأفريقية خصبة جدا حيث ينبت العشب والكلأ بسرعة إثر نزول المطر الخفيف، كما نشاهد هنا في أوروبا. إن هذه الأراضي الجديدة التي اشترتها الجماعة كانت في الماضي مزرعة كبيرة تحتوي على بعض الحظائر التي أصبحت صالحة للسكن بعد تنظيفها وتبليط أرضيتها وفتح النوافذ فيها. مع ذلك كان المكان غير كاف للعدد الهائل من الناس الذين حضروا هناك، غير أنه ما شكى أحد منهم، كان كثير منهم ميسوري الحال من التجار والمعلمين والموظفين ولكن إذ لم يجد بعضهم مكانا للمبيت فرشوا حصيرة في الخارج وناموا في العراء. ألا إن هؤلاء يتحلون بالصبر الكبير، فقد أخبرني أحدهم أنه سأل بعضهم فأجابوا: أتينا هنا للاستماع إلى الجلسة التي تنعقد بحضور خليفة المسيح،

فلا ضير إذا تحملنا بعض المشقة ليوم أو يومين، فنحن مرتاحون وسعداء حيث وفقنا الله تعالى للمشاركة في هذا الاجتماع. نظرا إلى هذا المكان الجديد للاجتماع والعدد الهائل من الحضور لم تكن الأمور كلها على ما يرام غير أنه لم يرفع أحد من الضيوف أي شكوى وما أبدى انزعاجا أبدا. كان عدد الحضور أكثر من مائة ألف شخص، وقامت الجماعة بأول تجربة هناك لتقديم الطعام للضيوف تحت النظام المركزي. كانت ثمة عادة سائدة في الجلسات أن بعض أصحاب كل منطقة يكونون مسؤولين لتأمين الطعام للحضور من تلك المنطقة. ولكن بما أن ما يقارب خمسة آلاف ضيف قد توافدوا من خارج غانا أيضا وقد فتحوا أول مرة المطعم المركزي لأجلهم أيضا فقد واجهوا بعض المشاكل. وصلني الخبر يوما أن بعض الضيوف من بوركينافاسو لم يتناولوا الطعام. إنها بلد مجاور لغانا وشارك من هناك ثلاثة آلاف شخص، وكانوا يمثلون أكبر عدد الحضور الوافدين من أية دولة خارج غانا. وقد وصل من هناك ثلاثمائة خادم بالدراجات حيث قطعوا مسافة أكثر من ١٦٠٠ كيلومترا بالدراجات الهوائية. على أية حال، فقد قلت للمبشر المرافق لهم أن يقدم لهم اعتذارا ويجب أن يهتم بهم في المستقبل. وحين ذهب إليهم المبشر وقدم لهم اعتذارا قالوا له: إن الهدف الذي أتينا هنا من أجله قد حققناه، أما الطعام فنأكله يوميا، أما الطعام الروحي الذي نتناوله هنا فأنّى للإنسان أن يجده

كل يوم. إن الجماعة في بوركينافاسو ليست قديمة، وأغلبيتهم قد انضموا إلى الجماعة في خلال عشرة أو خمسة عشر عاما ماضية فقط، لكنهم يتقدمون في الإخلاص والوفاء والحب باستمرار. إن وضعهم المادي أو الاقتصادي متدنّ لدرجة يؤمِّنون بصعوبة من اللباس ما يسترون به أبدانهم – كما وصف المسيح الموعود عليه السلام هؤلاء المخلصين – لكنهم وفروا النقود لنفقات السفر إلى هنا حتى يشاركوا في هذه الجلسة المميزة التي تنعقد بمناسبة اليوبيل المئوي للخلافة الأحمدية، وبما أن خليفة المسيح سوف يحضرها أيضا، فقالوا إننا لا بد أن نشترك فيها ولن نتأخر عنها. لا يقدر أحد على إنشاء هذا الحب غير الله. إن الخدام الذين جاءوا هناك بالدراجات الهوائية قد سافروا سبعة أيام متتالية وقفوا خلالها في محطات مختلفة في الطريق، وكان من بين ركاب الدراجات هؤلاء بعض الأنصار تتروح أعمارهم بين الخمسين و الستين عاما كما كان هناك فَتَيَان صغيران في سن ثلاثة عشر و أربعة عشر عاما فقط. وحين قال لهما أمير الجماعة قبل السفر أنه لا يسمح لهما بالسفر لأن السفر طويل أصابهما حزن شديد وذهبا إلى قائدهم والمبشر الأحمدي هناك ليشفعا لهما لكي يُسمح لهما بالسفر، وكانا قد قالا إنهما لن يعودا إلى قريتيهما، فسُمح لهما وأكملا السفر كله بمنتهى الفرح والسرور. وحين سأل أحدٌ رئيسَ مجلس خدام الأحمدية السيد عبد الرحمن عن هذا الموضوع، قال: إن أوائل

المسلمين قدموا للإسلام تضحيات جليلة وكنا نطمح في أن يكون الخدام هنا أيضا مستعدين لتقديم كل تضحية، وكنا نتوق إلى إنجاز عمل يشكل آية على إخلاصنا وولائنا ووفائنا للخليفة، ومن خلال ذلك نخبر الخليفة أننا جاهزون لتقديم كل أنواع التضحية ومستعدون لمواجهة كل نوع من التحديات، فقررنا السفر إلى غانا بالدراجات للاشتراك في الجلسة. وحين أعلنّا عن هذا البرنامج في مجلس خدام الأحمدية قدم ألف وأربعمائة وثلاثة وثلاثون خادما أسماءهم اُنتخب منهم ثلاثمائة خادم فقط نظرا لبعض المشاكل في تنظيم هذه الرحلة الطويلة. لم يكن هؤلاء الركاب يملكون الدراجات الحديثة والمتطورة بل كانوا يسافرون بدرجات قديمة، قد تراكم عليها الصدأ من زمن ولم يكن لبعضها كوابح وبعضها الأخرى لم تكن عجلاتها أيضا مناسبة. غير أنهم كانوا يملكون الحماس وروح التضحية وكانت قلوبهم عامرة بعواطف الحب والإخلاص للخلافة الأحمدية التي تنبأ رسول الله ﷺ أنها دائمة. لقد غطت وسائل الإعلام هذا الحادث ونشرت الأخبارَ عنه. فحين سأل مراسل القناة التلفزيونية أحدَ الركاب قائلا إن دراجاتكم قديمة جدا فكيف تقطعون بها هذه المسافة الطويلة؟ ردّ عليه ممثل الجماعة قائلا: صحيح إن دراجاتنا قديمة وفي حالة يرثى لها ولكن عزيمتنا وإرادتنا قوية، وإننا نقوم بهذا السفر شكرا لله تعالى على أنه أكرمنا بنعمة الخلافة. وحين بثَّ التلفزيون الوطني هذا الخبر بدأ بالقول:

السفر على الدراجات الهوائية من "واغا دوغو" إلى "أكرا" من أجل الفوز برضاة الله بمناسبة اليوبيل المئوي للخلافة. الدراجات قديمة ومهترئة لكن الإيمان والعزم قوي جدا. ثم عرض التلفزيون حالة هذه الدراجات وطرحوا على بعض الخدام بعض الأسئلة مثل: لماذا تسافرون إلى هناك؟ فردّ على هذا السؤال أحدهم قائلا: إني مسافر لمقابلة إمامي خليفةِ المسيح. وقال الآخر: هناك جلسة سنوية لجماعتنا في غانا تعقد بمناسبة مرور مائة عام على الخلافة الأحمدية ويشرفها خليفة المسيح بقدومه الميمون، وأنا ذاهب إلى هناك لأشترك في هذه الجلسة التاريخية. فهذه كانت عواطفهم.

ولا يغيبن عن البال أن هؤلاء الأحمديين ليسوا بأحمديين بالولادة، ولا هم أولاد الصحابة. إنهم يقيمون على بُعد آلاف الأميال في مناطق لا توجد فيه مرافق عامة كالماء والكهرباء. غير أن هناك محاولات جارية في هذه الأيام لإيصال الكهرباء إليها بغية استقبال برامج MTA. وإن هؤلاء الناس قبلوا الأحمدية قبل بضعة أعوام فقط وبعضهم قد أعياهم الفقر وأعوزتهم الفاقة، لكن بعد الانضمام إلى جماعة الخادم الصادق لرسول الله ﷺ قد تولّد فيهم إخلاص يجعلهم أقوياء كالصخور الراسخة لإنجاز مهمات الدين. وهم مستعدون لتقديم كل نوع من التضحية في هذا

الصدد، وقلوبُهم تفيض بالحب للخليفة، نسأل الله تعالى أن يزيدهم إيمانا وإخلاصا باستمرار.

قال أحد الأحمديين من بوركينافاسو اسمه السيد عيسى سياما: قد بايعت في عام ٢٠٠٥ أي انضممت إلى الجماعة قبل ثلاث سنوات فقط، واليوم عرفت مَن أنا، وكم أنا سعيد؟ أما السؤال ماذا جنيتُ من الاعتناق بالأحمدية فجوابه أنه لا يسعُني التعبيرُ عن عواطف الفرح والسرور. وكان حب البعض للخليفة يفيض من العيون في صورة الدموع.

إن الأشقياء الذين يعترضون على المسيح الموعود عليه السلام، ويقولون ما الذي قدمه المسيح الموعود عليه السلام للعالم؟ فلينظروا إلى هؤلاء ليروا هذا الانقلاب الذي أحدثه الله إلهُ المسيح الموعود عليه السلام في قلوب هؤلاء المخلصين. فقد ولَّد ﷻ في قلوبهم لخليفة المسيح أيضا حبا تعجز الكلمات عن التعبير عنها. فقد جاء من غامبيا وفد مؤلف من ٢٢ شخصا الذين ما كانوا يستطيعون السفر جوًّا بسبب الفقر الذي يعانونه، فقد قطعوا مسافة سبعة آلاف كلومتر بالحافلة في خمسة أيام مرورا بالبلاد الواسعة والمترامية الأطراف مثل السنغال ومالي وبوركينافاسو، وكان السفر مرهقا ومتعبا إلى حد كبير، حيث إن الشوارع في تلك البلاد غير جيدة والحافلات أيضا غير مريحة. لكنهم رغم ذلك كله حين وصلوا إلى مكان الجلسة واندفعوا إلى المسجد بدلا من البحث عن المكان للاستراحة لأن وقت

الصلاة كان قد حان. وما كان لأحد أن يلمس علائم الإرهاق على وجوهم، وما كان لأحد أن يقدّر بالنظر إلى وجوههم أن هؤلاء الخدام للمسيح المحمدي قد وصلوا إلى هناك بعد قطع مسافة طويلة وشاقة. ولسوف تُنشر التقارير المفصلة لهذه الرحلة في جريدة "الفضل" فمن يريد الاستزادة فليقرأها. أما من ساحل العاج فقد وصل بعد سفر طويل وشاق وفد يضم ألفا من أفراد الجماعة، ولكن إخلاصهم ووفاؤهم وحبهم كان قد أزاح عن وجوههم كل نوع من علائم التعب والإرهاق. لقد وفق الله تعالى بعض الأحمديين المحليين لتحمّل نفقات السفر لإخوتهم الفقراء من الأحمديين الذين كانوا مضطربين وقلقين لعدم تمكنهم من السفر، وكانوا إذا قيل لهم أن الجماعة المحلية لا تجد زاد السفر لهم فكانت عيونهم تفيض من الدمع. فهل هنالك مثيل لهذا الإخلاص والوفاء؟

ثم انظروا ما هي الطرق التي اتبعها هؤلاء الفقراء المخلصون للاشتراك في جلسة اليوبيل المئوي للخلافة. أذكر بعض الأحداث المتعلقة بهذا الموضوع أيضا.

عزمت جماعة إقليم "أبنغرو" في ساحل العاج على أن يشترك وفد يضم مئة شخص من جماعتهم للاشتراك في جلسة اليوبيل المئوي للخلافة بغانا. إنهم فقراء ولكن الجبال تبدو خفيضة أمام سمو عزمهم. فعزموا قبل ستة أشهر من الجلسة أن يزرعوا بعض الأراضي لنيل هذا الهدف وسينفقون

كل إنتاجها على السفر إلى جلسة اليوبيل المئوي للخلافة بغانا. إن الله تعالى ينظر إلى أعمال مثل هؤلاء المخلصين بعين المحبة والرحمة، فبارك الله تعالى في زرعهم بركة كثيرة بحيث إن المحاصيل لم تكن كافية لسفر ١٠٠ شخص فحسب بل جاء ١٠٣ شخص من هناك.

ثم وُفِّق ٥٧ شخصا من إحدى القرى في ساحل العاج للاشتراك في هذه الجلسة التاريخية كانت من بينهم ٢٣ سيدة، وكن قد اقترضن قائلات بأننا نرجو من الله تعالى أنه سوف يبارك في زروعنا بسبب سفرنا إلى هذه الجلسة المباركة بحيث نفي بالديون ونسد حاجاتنا الأخرى أيضا.

ثم جاءت فتاتان من أحد الأقاليم تبلغان من العمر الثانية عشرة والثالثة عشرة لتقدما نفقات السفر وقالتا: منذ أن تلقينا خبر قدوم خليفة المسيح إلى غانا بدأنا العمل في الأراضي وذلك ليحظى الفقراء أمثالنا أيضا برؤية خليفة المسيح، فقد كسبنا هذه المبالغ لسفرنا فخذوها واسمحوا لنا بالسفر إلى غانا.

جاءت سيدة من ساحل العاج اسمها "حبيبة" للاشتراك في الجلسة السنوية بغانا وكانت مريضة جدا، - لعله كان مرض السل – فأخبر أخوها وزوجها بأنها قالت لأهلها قبل السفر بأنني ذاهبة للاشتراك في جلسة اليوبيل المئوي للخلافة على الرغم من مرضي الشديد، وأرى أنني لن أعود لذلك فأرجو أن تسامحوني لأنني قد لا أعود بعد اللقاء مع الخليفة. كانت

مريضة جدا فلما وصلت هناك اشتد مرضها بسب تعب السفر الطويل الذي قطعته في حر شديد. على أية حال، لقد قابلتني بعد وصولها بيوم وفي اليوم التالي توفيت فصليتُ عليها الجنازة ودفنت هناك. إنا لله وإنا إليه راجعون.

فهذه بعض نماذج الإخلاص والحب التي أظهرتها النساء والرجال والكبار والصغار. وقد مضى كثير من الوقت رغم أنني لم أقصص بعد – على ما أظن – جزءً واحدا من المائة أو المائتين أو ثلاثة مائة من قصص حب الوافدين إلى غانا وولائهم، والحق أنه لا يمكن التعبير عن عواطفهم بالكلمات. أظن أن أهل غانا أيضا يكونون في الانتظار ليسمعوا بلساني ذكرهم لأن الجلسة الأولى كانت قد عُقدت في غانا. الحق أنني قد ذكرتهم في خطاباتي مسبقا، وقلتُ إن حبهم للخلافة وعشقهم للمسيح المحمدي يبرز بجلاء كمثال يُحتذى للآخرين لدى كل زيارة لبلادهم. وإن مَثَل هذا الحب والوفاء كمثل بحر زخار لا يقدر أحد الوقوف أمامه. أتذكر جيدا أن الخليفة الثالث رحمه الله حين زار غانا في عام ١٩٨٠م، وكنت أنا أيضا هناك آنذاك، كان حضرته قد وصل إلى غانا قادما من نيجيريا حيث تلقّى استقبالا وحفاوة بالغيْن. وكان السيد مسعود أحمد الجهلمي يرافقه في السفر وكان يكتب التقارير حول وقائع الرحلة. فحين شاهد الحفاوة والاستقبال في نيجيريا من قبل ألوف مؤلفة من الناس،

كتب في تقريره أنه لا يوجد لهذا الاستقبال نظير. وحين وصل إلى غانا قال: كنت أظن أن استقبال حضرته رحمه الله في نيجيريا كان القمة في هذا المجال، ولكنه حين شاهد الاستقبال والحفاوة في غانا فكأنه أصيب بذهول ما بعده ذهول. فقال: لا يمكن بيان هذا المشهد إلا أن نقول إنه بحر زخار من الأحمديين رجالا ونساء. والحق أن جماعة غانا تمثّل بحرا زخارا حقًّا. إن حبهم للخلافة كان مترشحا ومتدفقا من قلوبهم وأعينهم وأسارير وجوههم بل من كل ذرة من أجسامهم. إن نطاق جماعة غانا قد اتسع الآن أكثر من ذي قبل بسبب المبايعين الجدد. وإن هؤلاء الجدد أيضا متصبغون بصبغة الإخلاص والوفاء نفسه تحت تأثير إخوتهم القدامى بفضل الله تعالى.

وكما قلتُ من قبل إن الجلسة هذه المرة قد عُقدت في مكان جديد، وكانت أكبر جلسة على الإطلاق من حيث العدد إذ كان عدد المشاركين فيها قد تجاوز مائة ألف نسمة. كان عدد الذين سجِّلت أسماؤهم عندهم يبلغ ٨٣٠٠٠ نسمة، ثم خرج أمر العدِّ والحساب من نطاق قدرتهم، إذ قد جاء الرجال والنساء بالآلاف بعد ذلك. ومن المعلوم أن الصغار لا يسجَّل أسماؤهم في كثير من الأحيان.

لقد شاهد الناس في العالم كله الحضور في صلاة الجمعة، وعلَّق أحد الإخوة الوافدين من ساحل العاج قائلا:

لقد شاهدتُ هذا الاجتماع الكبير لأول مرة في حياتي بعد الاجتماع في الحج.

أقول: عندما كنتُ أشاهد هؤلاء المجتمعين أثناء الخطبة كنت أتساءل: هل سيقدر المسؤولون في MTA على بثّ مشاهد هذا الإنعام الإلهي الكبير أم لا؟ ولكن العاملين في MTA الذين رافقوني من لندن أظهروا براعتهم الخارقة في هذا المجال وأدوا مهمتهم بكل إخلاص كما شاهده الناس في العالم كله، فالحمد لله على ذلك. أدعو الله تعالى أن يجزيهم على ذلك خير الجزاء.

إن إحدى الميزات التي يتحلى بها أهل غانا والتي شاهدتموها أثناء خطبة الجمعة هي أنهم ظلوا جالسين في حر الشمس بكل صبر وهدوء واستمعوا إلى الخطبة بكل اهتمام وانتباه إلى ساعة كاملة تقريبا وكان عددهم أيضا كبيرا جدا. ليست هذه ميزتهم الوحيدة، بل ميزتهم الأخرى هي أن مكان الجلسة كان مليئا بالناس دائما مثل صلاة الجمعة حتى أثناء صلاة التهجد والفجر أيضا. ويوم السبت الذي كان اليوم الأخير من أيام الجلسة، وكان يوم عطلة أسبوعية في البلاد – لذا من الممكن أن يكون أناس آخرون أيضا قد حضروا الجلسة – فذهبت لصلاة الفجر وتحيرت كثيرا إذ إن عدد المجتمعين للصلاة رجالا ونساء كان يبدو لي أكثر من صلاة الجمعة أيضا. كان حماس السيدات أيضا جديرا بالملاحظة. كنت أقطع مسافة

كيلومتر واحد تقريبا إلى البيت في السيارة بعد الصلاة فكانت السيارة تقطع هذه المسافة وكأنها تدب رويدا رويدا. إذ كان الرجال والنساء يقفون على طرفي الطريق. كانت السيدات يقفن حاملات أولادهن في أحضانهن ويطلبن منهم أن يسلموا علي. كان الحب يترشح من أسارير وجوههم جميعا كما يترشح من وجوه الإخوة الأشقّاء حين يلتقي بعضهم ببعض. فهذه هي سيرة أهل غانا رجالا ونساء على حد سواء. إن عدد السيدات أيضا قد بلغ إلى خمسين ألفا على أقل تقدير، وكنَّ محافظات على صلواتهن أيضا إلى جانب حبهن وولائهن للخلافة. وهؤلاء هم الذين أعطاهم الله تعالى وعد الخلافة الدائمة. وما دامت الأمهات مثلهن يولدن في الجماعة فإن حب الخلافة سيظل ينتقل من جيل إلى جيل بإذن الله.

كانت السيدات يشرفن على المطبخ الكبير وترتيبات الطعام أيضا في غانا على عكس بقية البلاد. في أحد الأيام ذهبت بعد صلاة الفجر لمعاينة الترتيبات في المطبخ الكبير، وكان مكان إقامة السيدات قريبا منه وحين علمتِ السيدات بقدومي جئن إلى هناك بأعداد كبيرة، إلا أن عدد العاملات في المطبخ كان لا بأس به مسبقا. فرفعن الهتافات بأعلى صوتهن اهتزت لها أركان السماء. كنتُ قد ذهبت لرؤية المطبخ ولكن اضطررت للعودة بعد أن خطوت بضع خطوات فقط وذلك لخوفي أن هذا الحماس

لن يتوقف إلى هذا الحد بل يزيد ولن يعير أحد اهتماما حتى للنار المضطرمة في الأفران وغيرها، فعدتُ خوفا ألا تصاب إحداهن بالأذى.

إن صمود أعضاء مجلس خدام الأحمدية وأداءهم واجب الحراسة أيضا كانا على ذورتهما. ففي أحد الأيام كانت الرياح تهب بشدة والأمطار تنـــزل بغزارة، ففتحتُ شباك غرفتي ووجدت الشباب واقفين يؤدون واجب الحراسة وبدون أية مظلة في طوفان الريح والمطر وكأنهم يقولون بلسان حالهم: لا يقدر أحد أن يهز أقدامنا. فهذه هي ملخص ميزات أهل غانا.

ثم سافرنا من غانا وبتنا ليلة في نيجيريا ثم انطلقنا إلى بينين، حيث أصر أمير الجماعة والمبشر المسؤول هناك على أن أفتتح مسجدا في "بورتونو"، وكنت قد وضعت حجر أساس له أثناء زيارتي لتلك المنطقة قبل أربعة أعوام، ثم أُنشئ هناك مسجد واسع وجميل بفضل الله تعالى. ولحسن الحظ عُقدت في الأيام نفسها الجلسة السنوية في تلك المنطقة، فطلب مني أمير الجماعة أن أخطب في الجلسة أيضا، فألقيت كلمة وجيزة. كان هذا الفرع من الجماعة حديث التأسيس، وغالبيته من المبايعين الجدد. علما أن زيارة بينين لم تكن جزءً من البرنامج فعدلّته قليلا وسافرنا إلى بينين أيضا. عبرنا حدود نيجيريا بالسيارات حيث كان الوزراء الحكوميون موجودين

لاستقبالي، وبالتالي كان الاستقبال حافلا بفضل الله تعالى. وقد شاهدنا تغييرا إيجابيا ملحوظا في السلوك حتى على مستوى الحكومة.

على أية حال كان هدفي أن ألتقي بالأحمديين، فكان عدد لا بأس به من الأحمديين، رجالا ونساء، موجودا على الحدود للاستقبال وكانوا متحمسين جدا يرفعون الهتافات. إن اليوم التالي كان اليوم الأخير من الجلسة فألقيت فيها خطابا وجيزا. وكان عدد الحضور الوافدين من مناطق نائية ٢٢ ألف نسمة تقريبا. كلما يزداد الأحمديون الجدد معرفة بالجماعة يزدادون إخلاصا ووفاء أيضا بفضل الله تعالى. ندعو الله تعالى أن يزيدهم إخلاصا ووفاء أكثر من ذي قبل.

فحين تترك الزيارات تأثيرات إيجابية وطيبة على الأحمديين وتؤدي إلى توسع العلاقات فإنها إلى جانب ذلك تفتح أبوابا جديدة للتبليغ أيضا على مصراعيها. قد عُقدت هناك على شرفي مأدبة استقبال شارك فيها أحد أعضاء البرلمان وهو على صلة مع الجماعة منذ فترة طويلة، فقال لي بعد الحفل إني أريد أن أبايع، فقلت له أن يأخذ بعض الوقت للتفكير والتدبر، ولكنه كان على أتم الاستعداد على البيعة فأخذت بيعته.

كذلك قال السيد راجي إبراهيم، أحد الإخوة الأحمديين في بينين إن له صديقا غير أحمدي فقال له بكل إعجاب واستغراب ما مفاده: لقد سمعتُ خطبة إمامكم على التلفاز الوطني حيث قرأ حضرته سورة الفاتحة ثم فسَّر

بعض آيات القرآن الكريم. كنت أسمع منذ فترة طويلة أن الأحمديين لا يصلون، وقد تحيرت حيرة ما بعدها حيرة أننا ظللنا نسمع ونقبل هذه الكذبة الكبيرة إلى الآن، وقد شاهدتكم الآن بأم عيني أنكم تصلون مثل بقية المسلمين.

ومن فوائد هذه الزيارات أيضا أن وسائل الإعلام تغطيها على نطاق واسع. كذلك كان هناك أخ أحمدي آخر جاءه صديقه غير الأحمدي ليزوره فقال له في معرض الحديث إن زيارة إمامكم هذه قد حملت بركات غير عادية لدرجة يلاحظ بركات هذه الزيارات غير الأحمديين أيضا. ثم هناك سيدة اسمها الحاجة "مادام غراس لاواني" وهي مستشارة للرئيس فحضرتْ حفل الاستقبال ثم جاءت لزيارتي أيضا في مركز الجماعة. ثم جاءت إلى المركز بعد عودتي من هناك وقالت: جئت لأتأكد أولا: فيما إذا كان حضرته قد ذهب من هنا سعيدا مسرورا. وثانيا لأخبركم: بأني لم أصلِّ في حياتي صلاة الجمعة مثل ما صليت وراء حضرته. ثم قالت: لقد سمعتُ كثيرا من الأئمة يقرأون الآيات القرآنية ويرددونها مثل الببغاء ويمرون عليها بسرعة. ولكن أسلوب تلاوة حضرته للقرآن الكريم ثم تفسيره وتوضحيه لنا إياه قد ترك تأثيرا إيجابيا كبيرا في أعماق قلبي، إذ لم أر أحدا قط يفسر القرآن الكريم بهذا الأسلوب الجميل. على أية حال إنها قريبة من الأحمدية جدا وأغلب ظني أنها سوف تبايع قريبا بإذن الله.

ثم سافرنا من بينين إلى نيجيريا. عندما وصلنا إلى الحدود قال أمير الجماعة في نيجيريا: إن هناك مسجدا حديث البناء في الطريق، ورغم أن زيارة تلك المنطقة ليس ضمن ترتيبات الرحلة، ورغم أن تلك القرية تبعد عن الشارع الرئيس بعشرة أو اثنى عشر ميلا، ولكن أرجو أن تفتتحوا هذا المسجد بإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية. فقبلتُ ذلك وذهبنا إلى تلك القرية الصغيرة. علما أن في منطقة شمال نيجيريا هناك فروع الجماعة وقد أُسِّست منذ زمن قديم. حين زرت تلك المنطقة في عام ٢٠٠٤ لاحظت إخلاصهم ووفاءهم لأول مرة ووجدت أن الإخوة في تلك الفروع من الجماعة ليسوا أقل إخلاصا ووفاء من غيرهم على الإطلاق. كان يبدو لي كأن الحب يتدفق من داخلهم. على أية حال عندما وصلنا إلى هناك شكرت الله تعالى على أنه وفقني لهذه الزيارة نزولا عند رغبة أمير الجماعة لأن الجماعة كلها كانت في انتظارنا لثقتهم أنني سأزوهم حتما. وقبل دخولي المسجد أظهر الجميع صغارا وكبارا رغبتهم العارمة أن ينالوا فرصة مصافحتي، وكانت السيدات متحمسات جدا لرؤيتي عن كَثَبٍ. ولكن كل هذا لم يكن ممكنا لضيق الوقت غير أننا قمنا بكل ما استطعنا حسب الظروف. وفي وسط هذا الازدحام قال أحد أعضاء الوفد المرافق لي لإحدى السيدات أن تبتعد قليلا لأن ضغط الازدحام كان قد تفاقم كثيرا. فاستشاطت السيدة غضبا وكان يبدو وكأنها سوف تقذف هذا

القائل خارجا بسبب غضبها المفرط. وقالت: مَن أنت حتى تحول بيني وبين الخليفة؟

ومن حسن حظه أنه تنحى وإلا لم يكن من المستبعد أن تقذف به هذه السيدة! علما أن السيدات هناك قويات بفضل الله ويقدرن على ذلك. والمعلوم أيضا أن الإنسان يحرز قوة أكثر في حالة الحماس المفرط.

على أية حال لم يهدأ حماسهم إلا حين تحدثت إلى الحاضرين البالغ عددهم المئات. وحين أخبرتهم أن هذه الزيارة لم تكن جزء من البرنامج إلا أنني عدَّلتُ البرنامج من أجلكم، فرفعوا هتافات بأعلى صوتهم وكان يبدو وكأن سقف المسجد سيخرّ بدويٍّ هتافاتهم. سمعت هتافاتهم وتحدثت إليهم قليلا حتى هدأ حماسهم ثم استأذنتهم وسافرنا من هناك إلى مدينة أبوجا حيث كانت الجلسة مزمعة الانعقاد وكانت تبعد من هناك حوالي ١٢٠٠ أو ١٣٠٠ ميلا. وحيثما كانت فروع الجماعة موجودة في الطريق وجدتُ الإخوة ينتظرون قدومي على طول الطريق المؤدي إلى أبوجا. ووجدت فيهم نفس الحماس والعواطف والحب والإخلاص المعهود والملحوظ في الأحمديين في كل مكان في أفريقيا. كانت السيدات يجرينَ مع السيارة حاملات أولادهن في الأحضان ويوجِّهْنَهم إلي ليصبح حب الخلافة جزء من حياتهم لا يتجزأ. ولقد حضر جلسةَ نيجيريا أيضا وفودٌ من بلاد مجاورة مثل تشاد والنايجر والكاميرون وغيرها. وقد عُقدت

هنا أيضا لقاءات، شأنها شأن اللقاءات في غانا وبينين، مع الموظفين الحكوميين والزعماء الآخرين من غير الأحمديين، فبرزت انطباعاتهم جميعا عن الجماعة بصورة جلية، واطلعوا على أفكار الجماعة حسبما ذكر لي جميعهم.

في نيجيريا هناك ولاية كبيرة وحاكمها شخص مثقف جدا وحائز على شهادة الدكتوراه وهو عضو المجلس التشريعي أيضا في البلاد. وكان قد ألح كثيرا قبل سفري من لندن على أن أزور ولايته. (وهو يشترك في جلسة جماعة بريطانيا أيضا منذ سنتين)، فاستضافني بكل حفاوة وتكريم. وقد فتح مدرسة للبنات لذكرى والدته مسبقا ولكنه يريد أن يوسعها أكثر، فطلب مني أن أضع حجر الأساس لمشروع توسيعها. وقد اشترك في هذا الحفل كثير من الزعماء السياسيين وكبار موظفي الحكومة والملوك التقليديون المحليون وأعضاء البرلمان أيضا. فأشاد هذا الحاكم بخدمات الجماعة الإسلامية الأحمدية وذكر علاقته معي علنا. أدعو الله تعالى أن يشرح صدره أكثر ويهبه الشجاعة التي تؤدي به إلى الانضمام إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام بأسرع ما يمكن.

على أية حال، لقد شاهدنا أمطار أفضال الله وبركاته نازلة على الجماعة في كل مكان. ولسوف تتطلعون على هذه الأمور بواسطة MTA ومن

خلال التقارير المنشورة في جرائدنا أيضا. ندعو الله تعالى أن يرينا مشاهد اجتماع جميع الأرواح السعيدة على يد المسيح المحمدي بأسرع ما يمكن.

في عام ١٩٤٠ قامت شريحة من الجماعة في نيجيريا بتصرفات مناهضة لنظام الجماعة بسبب انزعاجهم من أمير الجماعة والمبشر المسؤول عندهم آنذاك، فقال لهم سيدنا الخليفة الثاني ﵁: عليكم إما أن تطيعوا النظام أو انفصلوا عن الجماعة، فانفصلوا عنها مع مساجدهم. فسألني أحد الصحفيين عن هذا الحدث، فقلتُ: إن ذلك لم يلحق أي ضرر بالجماعة قط، بل هي في تقدم مستمر هنا في نيجيريا وفي العالم كله بشكل عام. ومن ناحية ثانية لم يستفد المنشقون شيئا قط. والآن قد أصبح هؤلاء يشعرون بخطئهم ويحاولون أن يتحينوا الفرص للاقتراب من الجماعة. فجاء إمامهم وأحد زعمائهم الآخرين للقائي فقلت لهما: لقد اتضح الآن كل شيء بكل جلاء كما ترون في نيجيريا بل في العالم كله لذا يجب أن تتخلوا عن تعنتكم وتعودوا إلى الصواب لأن تقدُّم الجماعة والبركات منوطة بالخلافة. فسمعوا نصيحتي بكل إصغاء ظاهريا، وندعو الله تعالى أن يشرح صدورهم.

وبهذه المناسبة أريد أن أوجه أنظار المبلغين هناك بل الموجودين في جميع أنحاء العالم أن يحاولوا للتقدم أكثر وأكثر لإحراز مستويات عليا من الإخلاص ورفع مستوى علاقتهم مع الله ﷻ. عليهم أن يتذكروا بأنفسهم

ويخبروا أهلهم وأولادهم أيضا أنه مَن سرَّه أن ينال حب الله تعالى فليقدِّمْ نماذج سامية من الأخلاق والحسنات. وعليهم أن ينشئوا علاقة الحب والود أكثر من ذي قبل مع الإخوة المحليين ولا سيما في بلاد أفريقيا. اعلموا أن نماذجكم وسيرتكم إنما هي مضرب المثل في أعين الناس المحليين. المبلغون الأوائل الذين خدموا هنالك، بمن فيهم بعض صحابة المسيح الموعود عليه السلام أيضا، قد قدموا تضحيات عظيمة وضربوا مثلا عليا من البرِّ والتقوى ومؤاساة خَلق الله، وأحرَزوا سمعة طيبة جدا. فهذه هي المعايير التي أحرزها هؤلاء الأوائل، فيجب على الجميع أن ينالوا هذه المعايير.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن إخلاص الجماعة ووفائها وتفانيها:

"في بعض الأحيان نتعجب ونستغرب كثيرا نظرا إلى إخلاص الجماعة وحبها وحماسها الإيماني، حتى إن العدو أيضا في حيرة من أمره بهذا الشأن."

وحين يحتار العدو في أمره يزداد حسدا، ويبحث عن طرق جديدة لإلحاق الضرر بالجماعة. فحين تصل إلى المعاندين أخبار تقدُّم الجماعة من خلال رحلتي هذه إلى أفريقيا، وبشكل عام أيضا، يختارون كل طريق لإضرار الجماعة. والآن حين يرى العالم كله هذه المشاهد بواسطة MTA إننا

بحاجة أكثر من ذي قبل للخضوع أمام الله تعالى مخلصين له بغية التجنب من حسد الحاسدين.

تصلنا أخبار متنوعة بمناسبة يوبيل الخلافة، فمثلا قد بدأ المشايخ بإدلاء بياناتهم في باكستان بهذا الصدد، وبالتالي فإننا بأمس الحاجة إلى الأدعية والتركيز عليها. مما لا شك فيه أن الله تعالى قد وعد المسيح الموعود عليه السلام أنه سيجعل جماعته غالبة على حزب الحاسدين والمعاندين، ولكن يجب علينا أيضا أن نخضع أمامه عز وجل أكثر من ذي قبل بالإخلاص والوفاء والأدعية. ندعو الله تعالى أن يوفقنا لذلك ويكشف علينا طرقا جديدة من التقدم والرقي، آمين.